المملكة العربية السعودية

جامعة الرياض



Department of ادارة

University of Riyad

RIYAD, SAUDI ARABIA

No. .... الرقم Date .... التاريخ



مخ ٨٩ رسالة المراقبة ، تأليف الخوابه اسماعيل ؟ ، كتبت
ر ٠ ن في القرن الرابع عشر الهجري تقديرا ٠
٥٩١٩ ٣٢ص ٥١س ٢٤×١٦سم
نسخة حسنة ، خطها رقعة
١- الفلسفة الاسلامية في العصور الوسطى
أ - المؤلف ب - تاريخ النسخ

ف ١٧٢٧ / ٧ هـ
١٤٢٦/٩/١٤

رسالة المراقبة

للعارف بالله تعالى الشيخ اسماعيل

النواب حفظه الله تعالى

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كان كنزاً مخفياً فأحب العرفان فخلق لذلك الأكوان
وتعرف إليهم فعرفوه بمظهر الرحمة إذ لولا الواسطة لم يمكنهم ذلك
ولا كان فعليه الصلاة والسلام الأكملان وآله وصحبه وأتباعه
في كل لمحة ونفس وآن عدد ما وسعه علم الله ما دام الكنز بارزاً في
[illegible] فإن كل عاقل إذا تأمل يدرك أن حصول
كمال سعادة الإنسان يتوقف على المحبة وأن المحبة تتوقف على العرفان
أما قولي إن المحبة يتوقف عليها كمال السعادة فإنك إذا وصلت إلى
شيء كنت تحبه من قبل محبة شديدة فإنك تجد له لذة عظيمة وفرحاً
كثيراً كأنما كان لا سيما إن كنت تطلبه طلباً حثيثاً والعوائق
إنما قطعتك عنه مدة مديدة فيالها من لذة وسكر وحبور وسرور
وشكر وإن كانت محبتك لذلك الشيء قليلة فإنك تجد له لذة قليلة
وإن كنت من قبل لا تحبه أصلاً فإنك لا تجد له لذة أصلاً والحاصل
أنك لا تجد اللذة والفرح بذلك الشيء إلا بقدر حبك له وإن كنت
من قبل والعياذ بالله لا تحبه وتحب ضده ولا تمكن من نفسك ألفته
وأنس به فإنك عند الوصول إليه لا تجد إلا غماً وهماً ونكداً وكدراً
وألماً مع أن [illegible] ويفرح ويلتذ وينشرح بقربه كما نقل عنه
حال كناس الخلاء أنه مر يوماً على سوق الطيب والعطارين فغشي
عليه في الحال وصار بأسوأ حال واجتمع الناس حوله وصاروا يرشون
عليه ماء الورد والمزهر ويفوحونه بأنواع الطيب والعطر وهو
لا يزداد

لا يزداد إلا غفلة ودنواً إلى الموت فمر من كان يعرفه بسايدة فأتى بشيء من
القاذورات فقربها أنفه فما كان إلا ساعة حتى قام فرحاً وصحا منشرحاً وقال
نعم هذا الطيب والعطر الرطيب وكذلك حال الجعل فإنه يتضرر بريح
المسك والورد والعطر والنشر فالذي ألف قلبه الدنيا الدنية حتى
صارت ألفه ومحبوبته وتمكن من قلبه حبها حين ذهب إلى الدار
الآخرة ولا بد منه لم يجد إلا الأرواح الطيبة والأنوار الزكية واللطائف
القدسية وتظهر الجمال السبحاني والتجلي الرحماني ولم يجد من ملذوذاته
الدنية شيئاً بل وجد ضدها كيف يكون حاله فيصبح في حسرة ووباله
قال تعالى في الغافلين [illegible] وحفت الجنة بالمكاره
وقال النار بالشهوات [illegible] في حب الله
تعالى [illegible] التفكر في آلائه وعجائب مصنوعاته والنظر في جمال الله وجلاله
ومحاسن ذاته وصفاته تعالى كيف يقدم على تلك الدار المشحونة بأنواع
النعيم المقيم كما قال تعالى لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إن الله
عنده أجر عظيم [illegible] تعالى في الحديث القدسي أعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون يا ممتحناً
بكل [illegible] في عالمه
هذا [illegible] يرجع [illegible] عليه [illegible] عمره ساعة هل أنت منفق
في طاعته لتحوز لذات لا بد وتنعم بجوار الفرد الصمد ويأتيه همة
بطيئة هل أنت مجاوز هذه [illegible] فتفوز بأعظم [illegible] تمادى

في غرور وغفلة وكم هكذا نوم الى غير يقظة واما قولي ان المحبة
تتوقف على العرفان فهذا امر واضح البرهان فان اصل المحبة استحسان
وانجذاب ينشأ منه صميم القلب ومالم يعرف الشيء ومحاسنه لا ينشأ
اصلا واذا علمت هذا فاعلم ان لكل حرفة اهلا ولكل صنعة محلا
ولا شك ان اهل العرفان ومحل هذا الوصف العظيم الشان هم الصوفية
الكرام مخازن علوم الحق ومواطن اسراره ومنبع فيوضاته ومطلع
انواره وحاصل ما ذكروا في اسباب العرفان وطرق تحصيله للانسان
امران اشير اليهما في اية ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا
باطلا سبحانك فقنا عذاب النار وهما الذكر والفكر مرجع المعنى الاول
ومحصله المجاهدة بانواع الطاعات وتصفية النفس عن الشواغل
والكدورات حتى يتاهل لقبول التجليات من المواهب الفياضة ومحصل
المعنى الثاني علم المعرفة والتوحيد الخاص ثم التفكر في عجائب صنعه
واستجلاء انوار جماله وجلاله ومحاسن فعاله حتى تتجلى له حقائق
الاسماء والصفات وسر سريانها في سائر المكونات والمصنوعات قال عليه
السلام افضل الاعمال العلم بالله والمعنى الاول وعر المسالك طويل
الذيل والثاني سهل المرقى جزيل النيل غير انه يحتاج الى غزارة فطنة
السالك وذكاء طبعه السليم واختلف اصحاب السير في انه شغله صلى الله
عليه وسلم قبل البعثة الذكر او الفكر قال العلامة الصاوي في حاشيته

هي

على الهمزية عند قوله الف النسك في العبادة والخلوة طفلا وهكذا
النجباء فكانت عبادته الفكر والشهود لان ذرة من اعمال القلوب خير من
مثاقيل الجبال من اعمال الابدان كما قال سيدي ابو الحسن الشاذلي اهـ
وروى ابو داود في سننه فكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وسئلت ام الدرداء
ماذا كان افضل اعمال ابي الدرداء قالت الفكر وورد الفكرة سراج
القلب قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه لا شيء انفع للعبد
في اصلاح قلبه من الفكر فانه سراج القلب وقال سيد الطائفة الجنيد
رضي الله عنه اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد
وفي الحكم العطائية ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة وتارة يعبر
عن الفكرة بالمراقبة ولا شك ان كل واحد من الذكر والفكر شرط في كمال
الاخر والجمع بينهما هو الاكمل غير انا قصرنا في هذه العجالة بيان جملة مفيدة
من المعنى الثاني (تنبيه) ينبغي لكل سالك ان يعلم ان ذات الحق تعالى
منزهة عن الجهات والحد والحصر والكم والكيف والشكل والصورة لا سبيل
لاحد الى مشاهدتها او رؤيتها وكذلك صفاته تعالى كما قال الصديق الاكبر
رضي الله عنه العجز عن درك الادراك ادراك قال امام حضرة التقديس
سيدي احمد بن ادريس رضي الله عنه سبحانك سبحانك جل ثناؤك
وتعاظم مجدك وتعالى جدك وتقدست ذاتك ان يحيط مخلوق بحل علمه
حول سرادق كنهك او يتصف بغير العجز عن ادراك ماهية وصفك
وانما نعلمه تعالى باسمائه وآثار صفاته التي اخبر بها على لسان رسله
عليهم السلام وفي كتبه ثم جاء كشف اهل الله تابعا ومؤيدا له فانما ذكرني

كشبهم من مشاهداتهم وعلمهم بالحق تعالى وتجلى الاسماء والصفات والذات
فالمراد من ذلك كله حضرة الاسماء بانواعها لا الذات الحق تعالى وتلك اصطلاحات
لهم مبنية على كشفهم تقريبا الى الافهام قال الشيخ الاكبر رضي الله عنه فالعلم
بالله عين الجهل فيه والجهل بالله عين العلم به فاعتبروا واذا تمهد هذا
فنقول ان الفكرة والمراقبة اصل اصيل ومن ركنين في طريقة القوم رضي الله
عنهم واصلها من السنة المستفيضة حديث الاحسان الذي رواه البخاري ومسلم
في صحيحيهما من حديث جبرائيل المشهور انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الاسلام والايمان والاحسان فقال ما الاحسان فاجابه عليه السلام
الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فهذا الحديث
من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم جمع انواعا من العلوم والمعارف
وورد في الخبر ان الله كتب الاحسان على كل شيء فكيف لا يكون الاحسان مكتوبا
على العبادة التي خلقنا لاجلها قال الله تبارك وتعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون ونعبد دائما بقولنا اياك نعبد فقد وضح لنا صلى الله عليه وآله
وسلم احسان العبادة على طريقة التعليم بقوله الاحسان ان تعبد الله كأنك
تراه ولا شك ان لفظ كأن يفيد معنى التخييل فقد جوز الشارع صلى الله
عليه وسلم لنا الفكر والتخييل في العبادة بل شرعه واوجبه علينا وجعله من
الدين حيث قال للصحابة رضي الله عنهم هذا جبريل اتاكم يعلمكم دينكم
وكذلك تجد من اقوال الصحابة رضي الله عنهم ما يدل على استعمالهم اياه وتحققهم
بمقتضاه فقد ورد انه صلى الله عليه وسلم قال لحارثة ذات يوم كيف اصبحت
يا حارثة فقال اصبحت مؤمنا حقا قال انظر ما تقول فان لكل حق حقيقة
فما

فما حقيقة ايمانك فقال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها
ومدرها فاسهرت ليلي واظمأت نهاري وكأني انظر الى عرش ربي بارزا
وفي رواية كأني انظر الى الله فوق عرشه وكأني انظر الى اهل الجنة كيف
يتزاورون فيها وكأني انظر الى اهل النار كيف يتعاوون فيها فقال ابصرت
وفي رواية عرفت فالزم ثم قال من سره ان ينظر الى عبد نور الله الايمان
في قلبه فلينظر الى هذا وهذا حارثة بن سراقة هو الذي طلب الشهادة
ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فكان اول من استشهد يوم بدر
فقالت امه يا رسول الله اخبرني عن ابني حارثة فان يكن في الجنة فلن
ابكي ولن اجزع فقال يا ام حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنة في
جنان وحارثة في الفردوس الاعلى فرجعت تضحك وتقول بخ بخ
لك يا حارثة فانظر الى استعمال حارثة رضي الله عنه كأن في المواطن
الاربعة وجعله اياه ايمانا حقا وتصويبه صلى الله عليه وسلم له وثبت
من قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان لحقه عروة بن الزبير في
الطواف فخطب اليه ابنته فلم يكلمه ابن عمر فلما قدم المدينة ولقيه
ابن عمر قال له ابن عمر انك كلمتني في الطواف بما كلمتني وانا كنا نتراءى الله
بين اعيننا الى آخر الحديث وهذا المعنى المدلول عليه بكأن اذا
استولى على الخيال اما بعد التوجه والمراقبة او بالعناية الالهية
من اول وهلة يصير كأنه محسوس مشاهد وحينئذ يترك لفظ
كأن كما في حديث أبي رضي الله عنه قال كنت جالسا في المسجد فدخل
رجل فقرأ قراءة انكرتها عليه ثم جاء آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه

فلما انصرفنا دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته
بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل اقرأ فقرأ ثم قال للآخر
اقرأ فقرأ فقال احسنتما او اصبتما فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد حسن قراءتهما سقط في نفسي وددت اني كنت في الجاهلية
فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غشيني ضرب بيده في صدري
ففضت عرقا وكأني انظر الى الله فرقا فقال يا أبي ان ربي ارسل الي ان
اقرأ القرآن على حرف فرددت اي سببا هون على امتي فرده الى الثانية ان
اقرأ على حرفين الحديث ومثله قول ابن عمر السابق فانه يرى لفظ كان
ولهذا هو المسمى عند القوم بالمشاهدة وكذلك ورد عن الصديق الاكبر
رضي الله عنه انه كان يقول ما رأيت شيئا الا وقد رأيت الله قبله ومثله
قول محمد بن واسع في نوادر الترمذي ما نظرت الى شيء الا رأيت الله
اقرب منه وورد عن علي رضي الله عنه انه قال لم اعبد ربا لم اره ولهذا
اشار سيدنا علي بن الحسين رضي الله عنهما بقوله يا رب جوهر علم لو ابوح
به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون
اقبح ما يأتونه حسنا اني لاكتم من علمي جواهره كيلا يرى الحق ذو
جهل فيفتتنا فقد تقدم في هذا ابو حسن الى الحسين ووصى قبله الحسنا
وعلى هذا المعنى فسر ترجمان الاولياء سيدي محي الدين بن العربي قدس
الله سره في فصوصه قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
او القى السمع وهو شهيد فانه جعل مراتب اهل الديانة ثلاثة اهل
التحقيق وهم المرادون بقوله تعالى لمن كان له قلب والمقلدون للانبياء
والرسل

صوابه وأبى

والرسل في جميع ما اخبروا به من غير تأويل عقلي وهم المرادون بقوله
عز وجل او القى السمع وهو شهيد اي القى السمع لما وردت الاخبار الالهية
على ألسنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والحال انه شهيد اي مشاهد لما
القى السمع له اي مستحضر له في خياله وما اتى له فيه قال رضي الله عنه سبحانه بذلك
على حضرة الخيال وعلى استعمالها في معرفة الواجب المطلق للضرورة اذ
لا يمكن المقيد الممكن ان يعرف الواجب المطلق الا مقيدا بقيود من طرفه قال
وهو معنى حديث الاحسان ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله في قبلة المصلي
وامثاله وفي رواية الترمذي ان الله عز وجل امركم بالصلوة فاذا صليتم فلا
تلتفتوا فان الله عز وجل ينصب وجهه لوجه عبده في صلوته ما لم يلتفت
فلذلك اي لكونه يستعمل حضرة الخيال في وقت عبادة ربه فيعبده سبحانه
وهو متصور له كانه يراه هو اي من القى سمعه شهيدا اي مشاهدا والقسم
الثالث من قال صاحب نظر فكري وهم المقلدون المؤولون فليس هو الذي
القى السمع فانه هذا الذي القى السمع لابد ان يكون شهيدا اي مشاهدا
لما ذكرناه فما هو المراد بهذه الآية اهـ موضحا من شروحه والحاصل ان
مبدا الفكر والمراقبة معنى التخيل والاستحضار والتصور المشروع واذا رسخ
القلب بذلك افاض الحق تعالى عليه من نوره وانواع تجليه وظهوره ما لا
يدخل تحت حصر والفتوح عند القوم عبارة عن سهولة وروده على الخيال
من نفسه او مع ادنى ملاحظة والسير والسلوك كله في ذلك بحسب مراتبه
قال سلطان العاشقين امام العارفين سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه
وابيت سهرانا مثل طيفه للطرف كي القى خيال خياله

من استعمال حضرة خيال في تصور معبوده ومتى لم يكن شهيدا لما ذكرناه

وهذا كان في ابتداء الأمر وقال في غايته وان اكتفى غيري بطيف خياله
فانا الذي بوصاله لا اكتفي وهذا في وسطه فان قيل هذا المتخيل المستولي
هل هو حادث او قديم مخلوق او غيره قلنا هو حادث مخلوق ضربه الله مثلا
للقديم وان شئت قلت انه مرآة للحق القديم فهو من المرآة ومع ذلك فهو
حق ظهر بوجه من الوجوه وقد خلق الله تعالى من بدائع حكمته وعجائب
قدرته عالم المثال برزخا بين المجردات والجسمانيات تظهر فيه المجردات
متشكلة متصورة والجسمانيات لطيفة على انواع شتى لا ضابط لها وفيه من
الوسع ما لا يحصيه الا ربه وذلك رحمة بعباده ولولا ذلك لم يعرف ولم
يعبد الا ترى ان النائم يرى الحق ويخاطبه باتفاق اهل الشرع وقد رأى
الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ربه في المنام تسعا وتسعين مرة فقال لئن
رأيته تمام المائة لاسألنه عن افضل القربات فرآه فسأله يا رب ما افضل
ما يتقرب به عبادك اليك فقال تلاوة كلامي قال يا رب بفهم كان او
بغير فهم فقال بفهم كان او بغير فهم فكل ما يقال في هذا الخيال النومي
هو بعينه يقال هناك بل هما في الحقيقة واحد لما تعطلت الحواس في
النوم ظهر فيه الحق وهكذا اذا صفى الخيال بالتوجه الى ذي الجلال والجمال
وتشاغل بكليته عن مقتضى الحواس في الافعال والاقوال يظهر فيه الحق
المتعال بما شاء من صورة وغيرها مما لم يخطر في بال ويعجز عن نطاقه المقال
والاخبار المثبتة في التجلي في الصور صحت باتفاق الحفاظ وتكاثرت وتظاهرت
بحيث لا يمكن لعاقل ردها بل اذا امعن الذكي الفطن يرى كل مسلم صادق
وكل مؤمن موقن لا يخلو من نوع هذا الخيال فان التوجه الى المجهول المطلق
محال

ويظهر له بجميع ما تراه من النقائص المنافية للحق القديم

محال والحكم بشيء فرع تصور المحكوم عليه فاذا قال المؤمن الله ربي لا اشرك
به احدا فقد تصوره وتخيله لانه حكم عليه باحكام القدم والوجوب ومع ذلك
هو يعلم ان هذا المحكوم عليه المتصور له حادث الا انه صار مرآة للقديم
ومظهرا له والحكم عليه من حيث الظاهر وهذا المعنى لا يظهر كما ينبغي الا بعد
الذوق وقبله لا بد من ضم التقليد لاهل الطريق واصحاب التوحيد،،

فصل لما كان الانسان من حيث حيوانيته وبشريته يتوقف
بقاؤه على جملة اشياء ركبت فيه الشهوات وذلك لا يتم الا بالتخيل
ليدبر امره ويقضي منه حاجته ووطره لذلك الفت نفسه الخيالات
المتنوعة الصالحة والفاسدة بحيث لا يمكن انقاذه منها الا بمشقة
كثيرة ومجاهدة شديدة وحيل مفيدة فان القلب واحد كما قال
الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وايضا الحق جل
وعلا ليس له صورة وان كانت الصور كلها له فتستصعب النفس
تخيله لذلك تصدى القوم رضي الله عنهم لبيان طرق تصفية القلب
من الخيالات المشتتة مما فيه تصريحات من الشريعة النبوية واستنباطات
من اشاراتها والهامات ربانية لا هواجس ولو كشفوا عنها ليسهل على
السالك استعمال حضرة الاحسان ويدخل من بابه الى مراتب العرفان
والاسرار والكمالات المودعة في الانسان فمن ذلك لما سأل شيخنا
شيخه قطب دائرة التقديس سيدي احمد بن ادريس قدس سره
النفيس يا سيدي اذا تلقن المريد الطالب من شيخه الذكر ما الذي
يشتغل به من المطالب فبادر رضي الله عنه بقوله فان تنازعتم في شيء

فردوه الى الله والرسول قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال المرشد الاعظم صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ثم قال قد فتح لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باب حضرة الخيال فلا ينبغي سده وما ذكره الا لنستعمله فاذا استعمله المريد ووقف عنده كما امر به الشارع فلينتظر ظهور حضرة الحق تعالى في مظهر من مظاهر الاسماء بالتعريف الالهي والحق يأخذ بقلب عبده الى ما شاء من تجلياته ولا تحجير عليه قال وهذا صورة الجهاد الاكبر المعني به في الآية السابقة والمشار اليه بقوله عليه السلام قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر مجاهدة العبد هواه رواه الديلمي قال وهذا يفضل ذلك بمائتي الف درجة قالوا متى ينتهي هذا الجهاد قال حتى تضع الحرب اوزارها قالوا ومتى تضع قال حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله قالوا يا سيدي وما علامة كون الدين كله لله قال حتى يصير مؤمنا حقا ثم تلا قوله تعالى في سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم قال انما اداة حصر اتى به ليفيد حصر الايمان فيمن اتصف بهذه الصفات العلى واتى بلفظ ذكر مبنيا للمفعول ليعم الذاكر بنفسه والسامع لذكر غيره والوجل تقلص واضطراب يعرو القلب كما قالت عائشة وام الدرداء رضي الله عنهما

عنهما انما ايمان الرجل في القلب كاحتراق السعفة لا يكاد يلبث طويلا فاذا وجده احدكم فليدع الله تعالى فان الدعاء عند ذلك يستجاب قال رضي الله عنه فهذا احد صفات المؤمنين الثلاثة المذكورة في الآية الكريمة ان يتحرك ويضطرب قلبه بسماع ذكر الله عز وجل والصفة الثانية اذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا اي الى ايمانهم ونورا على نورهم قال والآية قسمان قرآنية وهي ما بين دفتي المصحف من الفاتحة الى المعوذتين وآفاقية وهي المذكورة في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون والمراد جميع المخلوقات وتلاوة الآيات الآفاقية هو وقوع النظر والادراك عليها قال بعض العارفين :

تأمل سطور الكائنات فانها	من الملأ الاعلى اليك رسائل
لقد خط فيها لو تأملت خطها	الا كل شيء ما خلا الله باطل

قالوا كيف زيادة الايمان قال بحيث يحس به كما يحس أحدكم بدخول اللقمة على اللقمة والطعام على الطعام لا يشك فيه ولا يريب قال حتى ان الغوث من هذه الامة الذي يمد العالم انما يمده العالم فالقضية جارة ومجرورة لان العالم في نظر العارف بالعالم مرآة مجلوة ظهرت فيها الحقائق الالهية الاقدسية فقابت المرآة

في المرئي بكمال جلائها وسطوة انجلائه فالحق شهادته ومنظر العارف
من العالم انما هو الحق فلا يشهد العالم الا اسماء الالهية والانسان
لا يخلو من نظر وادراك او سماع واحساس لشيء ما ادناه نفسه
فحينئذ لا يزال المؤمن يزداد ايمانا بشهادة الآية والصفة الثالثة
وعلى ربهم يتوكلون قال اي لا على ما رأوه من الآيات يعني ما اطمأنوا
بها وما ركنوا الى ما شاهدوا من الحق فيها بل مطلبهم وراء ذلك
كلما اقبلوا على ذاته تجلى لهم في حجاب اسمائه وصفاته كما قيل
العارف كان بائن الذين يقيمون الصلاة اي يأتون بها مع روحها
امر بعض العارفين مؤذنه ان ينادي قبل الاقامة ومن لم يحضر ولم
يرد ولم يكلم فليس بمصل اصلا ومما رزقناهم ينفقون من الارزاق
الحسية والمعنوية اولئك هم المؤمنون حقا اي لا خلقا لهم
درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم قال شيخنا رضي الله عنه كنا
نستعمل المراقبة بين يدي الاستاذ سيدي احمد بن ادريس رضي الله
عنه بالتوجه الى مفهوم حضرة الاحسان برهة من الزمان ويكفي
في ذلك ملاحظة ذات جميلة جليلة موصوفة بجميع صفات الكمال
وهو مفهوم حضرة الاحسان الاجمالي فان انفتح باب من التعريف
في حضرة الله او حضرة الرسول او حضرة الشيخ في التوجه قابلناه
بالملاحظة الكاملة وطلبنا عليه يعني عاملناه معاملة الرامي حين
يتوجه الى النشان وهو الهدف والغرض ليصيبه فانه يحفظ
نظره عن الميل يمينا ويسارا وكذلك المراقب يراقب قلبه ويحفظه
عن

عن الميل الى غير المظهر الظاهر له فانه بقدر امعانه فيه يتشرب
القلب من نوره ويقويه ومن هنا يؤخذ وجه التسمية بلفظ
المراقبة في عرف القوم رضي الله عنهم قلنا فان غاب المظهر قال
فليتوجه الى مكان المظهر المتخيل فانه ما اخراه ان يظهر ثانيا او
يأتي بخير منه قال تعالى ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او
مثلها وان لم يظهر له فهو في افضل عبادة كما قال صلى الله عليه وسلم
افضل العبادة انتظار الفرج من الله والطاعات والعبادات تعرضه
للنفحات كما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم في ايام دهركم لنفحات
فتعرضوا لها لعله تصيبكم منها نفحة تسعدون بها فلا تشقون بعدها
ابدا قلنا له فان تعسر عليه مفهوم حضرة الاحسان الاجمالي او
استعمله ولم ينفتح له منه باب قال فليستحضر الذات الكاملة
المصطفوية على ما في الشمائل النبوية او الصورة المنامية ان
تقدمت للسالك رؤياه صلى الله عليه وسلم في المنام وللعلماء
الاعلام والصوفية الكرام رسائل وتآليف مستقلة في ذلك
ولهذا الحقير رسالة مستقلة في التوجه الى الذات الكاملة
المصطفويه وكيفية الاستمداد والاستفاضة منه صلى الله عليه
وسلم جمعتها من ملفوظات شيخنا رضي الله عنه مسماة بالهدية
الرشيدية في التوجه الى الذات العلية المصطفوية ينبغي للسالك
استحضاره مضامينها حينئذ قال او يستحضر صورة شيخه الكامل
فان الشيطان لا يتصور ولا يتمثل بصورته صلى الله عليه وسلم

نصا وكذلك لا يتمثل بصورة المشايخ الكمل الهداة ورثة منه صلى
الله عليه وسلم حتى لا ينسد باب الهداية الباطنه قال صلى الله عليه
وسلم يفر الشيطان من ظل عمر ولذلك كان شيخنا لا يرضى في
المراقبة استحضار صورة غير الكامل ثم رأيت رسالة لمولانا خالد
الكردي النقشبندي صرح فيها بمثل قول شيخنا رضي الله عنهم فان
حضور الصورة الخيالية صحبة معنوية فلا يليق بها الا من هو اهل
قال باب مدينة العلم سيدنا علي كرم الله وجهه ولا تصحب اخا الجهل
واياك واياه يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه وللشيء على الشيء
مقاييس واشباه وللقلب على القلب دليل حين يلقاه قال رضي
الله عنه واحيانا كنا نتوجه الى مفاهيم الاحسان التفصيليه
وهو جميع ما ذكر في القرآن والحديث من صفات الحق تعالى
وتجليه تعالى لعباده في الطاعات او الاوقات ومعيته واقربيته
للكائنات مثل قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقوله تعالى ونحن
اقرب اليه من حبل الوريد وحديث ان الساجد يسجد على قدمي
الرحمان وحديث ان الله ينصب وجهه للمصلي وحديث من
صلى فلا يبصقن امامه فان ربه بينه وبين القبلة وحديث
انا جليس من ذكرني والقلب بيت الرب قلب المؤمن عرش
الرحمن لن يسعني ارضي ولا سمائي ويسعني قلب عبدي المؤمن
واشباه ذلك وتأخذ اية اية وحديثا حديثا مما ذكر ونتلبس
بالطاعة المناسبة ونلاحظه ونتوجه اليه بالقلب ونتخيل كيف
يظهر

يظهر لنا التجلي ليفوز القلب منه بالتملي قال ومن الحرص على هذا كنا
نضع خطوطا وشخوطا في الارض نخط لكل واحد مما ذكر خطا ثم
نبدأ بالتوجه الى مضمون كل واحد برهة من الزمان حتى تتم الخطوط
او يظهر التعرف من الحق قال ولم نزل نتوجه ونراقب الله بمثل ذلك
مقسمين الاوقات بين الذكر والفكر والطاعات الى ان جاء نصر
الله والفتح للباب وولت جيوش المنع والحجاب واذا انفتح الباب سهل الدخول
وانقلب حر صيف الطبع عند شتاء الوصول قال وما احرى من يديم التوجه الى
الله في الاوقات ويطلب منه التعريف بما ذكر من العبادات[1] ان يقضي وطره
ويستأصل من الغفلة دابره في اقرب مدة فان من جد وجد ولكل مجتهد نصيب
مما اجتهد :

اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلجا

ثم ان ليل القبض والحجاب ونهار البسط والفتوح يتعاقبان على المريد ما دام
في النفس اللوامة والملهمة فنهار البسط والفتوح يرشده الى الوحدة
ومواطن الروح وليل القبض والحجاب يوقفه في ظلمة الطبع والارتياب
فعلى السالك ان لا يضيع وقته في نهار البسط الا في الاشتغال
بالله ليتمكن الوارد من قلبه وظاهره وباطنه وفي ليل القبض عليه ان
لا يقف كما قال الله تعالى في المنافقين واذا اظلم عليهم قاموا بل يشغل
نفسه في انواع العبادات[1] ويسرج قلبه بالفكر في التجليات ادنى الاوقات
يلاحظ المظاهر التي ظهرت في البسط الذي قبله وينتظر الفرج من الله
في ملاحظته وكل قليل من الزمان يغير فكره وملاحظاته من حضرة الهية

(١) العبادات اي الاوراد والاذكار والصلوات [illegible]

الى حضرة محمديه الى حضرة الشيخ ويسارع الى ماينشرح قلبه اليه
ويسهل حضوره عليه قال عليه السلام من رزق من شيئ فليلزمه فان
شاهد الحضرة الالهية فليعلم انها ظهرت وان الحضرة المحمدية وحضرة الشيخ
بالمتنان فيها وان وجد الحضرة المحمدية فليعلم ان الحضرة الالهية وحضرة
الشيخ بالمتنان فيها وان ظهرت حضرة الشيخ فليعلم ان الحضرة الالهية والحضرة
المحمدية بالمتنان فيها ولا يتوهم تخالفا وتباينا فى هذه الحضرات فى نفس
الأمر اي واحد منهم ظهر يقبله ويلاحظه بجميع الهمة والقصد اليه
ويعلم ان الكل فيه ان لم يتعرف له الحق الا بهذا الذي فهم ولم يحكم
له الا بفهمه هذا كما قال تعالى له الحكم اي له للاشياء واقتضت حكمته
فى ذلك الوقت ان لا يتعرف له الا بهذا الذي يفهمه وهو الى ماورائه
يجذبه واليه يهديه فقد قال الصوفيه الكرام من فرق بين الحضرتين
اي الحضرة الالهية والمحمدية لم يشم رائحة الولاية وانما المخالفة عند
السالك تعرفا وحكما وحكمة فان احكام الكثرة لم تمح من لوح نفسه بعد
وتجلى الحق وتعريفاته لا تكون الا على حسب القوابل وكلما ترقى السالك
وانمحت احكام الكثرة من نفسه ظهرت الوحدة الحق ان يرجع الكثير واحداً
ثم يرجع بالوحدة نازلا الى الكثرة فيرى الواحد كثيراً ثم يقول يا واحداً
فى عين كثرته ويا كثيراً فى عين وحدته وكثيراً ما تظهر للسالك المظاهر
التنكيريه و يجزع منها كتب سيدي احمد بن ادريس رضي الله عنه الى بعض
اصحابه لا تجزع من تجلي النكرة ففيها الانوار كامنة مستترة وان تعطل
على السالك الاشغال القلبيه والافكار المعنوية لغلبة حكم القبض
عليه

فليتوجه الى الله تعالى بطلب التعريف فيها ولا يشغل فكره ولا يجزع منها

عليه فليستعمل مجرد الطاعات الظاهره الجسمانية ناويا بها وجه الله والتقرب
اليه ومحبته كما ورد فى الحديث الصحيح ما تقرب الى عبدي بشيئ احب الى من اداء
ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله
التي يمشي بها وفؤاده الذي يعقل به ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني
لاعيذنه وينظر من الطاعات ما امكنه وسهل عليه ومن أدناها زيارة
الاخوان ومواصلة الارحام فقد ورد فى الحديث القدسي وجبت محبتي للمتحابين
فيّ والمتجالسين فيّ والمتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ قال سيدي احمد بن ادريس
رضي الله عنه السلام عليكم وعليكم السلام الذي هو تحية اهل الاسلام من
جملة التباذل فقد اشتملت المزاورة على اربعة وجوه من المحبة الالهية وفي
الحديث اخذت الرحم بحقو الرحمن وقالت هذا مقام العائذ بك فقال وعزتي
وجلالي لأصلن من وصلك ولاقطعن من قطعك قال شيخنا كنا لا نضيع الوقت
ولا نخليه عن مراقبة وفكرة ما حتى النوم المعتاد وليالي القبض والبعاد نلاحظ
فيه قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك
التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى اجل مسمى . ونتوجه الى قبضه الحق
الانفس فى المنام وارسالها وندعوه ونرجوه ان يرسلها الينا حين اليقظة
مصفاة من ظلماتها وكدوراتها كما يليق بكرمه وعظمة شانه وكذلك الطعام
والشراب المعتاد ونَنظر اليه انه مظهر الاسم الرزاق كما روى ادم كلني فى المأكول
واشربني فى المشروب والحاصل ان مقصود السالك هو الدخول فى الحظيرة الالهية
وهذه والتي تليها انواع النيات وكيفيات الافكار والمراقبات كالابواب لها

نخ وينظر

فلا يزال يتردد على هذه الابواب نوبة فنوبة يقرعها ويستوعب اوقاته او
يصرف معظم اوقاته في ذلك حتى ينفتح الباب ويرتفع الحجاب وينكشف
النقاب قال صلى الله عليه وسلم اذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي
جعلت نعيمه ولذته في ذكري فاذا جعلت نعيمه ولذته في ذكري عشقني
وعشقته فاذا عشقني وعشقته رفعت الحجاب فيما بيني وبينه وصرت معالما
بين عينيه لا يسهو اذا سها الناس والمراد من الاشتغال بي هو التوجه الى
حضرة الاحسان والليل والنهار اربع وعشرون ساعة فاذا كان السالك
وصل الى ان يكون اشتغاله بالله ثلاث عشر ساعة فما فوقها فقد استحق
فتح الباب ورفع الحجاب بنص الحديث القدسي وبعض الصوفية الكرام :،
يأمرون السالك وقت القبض الشديد بالاستغفار اخذا من قوله صلى
الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة
ويستحسنون تكرار الاغتسال حتى يرتفع عنه ضيق هذا الحال فان
ظاهر التطهير صورة لمعنى باطنه التنوير والماء مظهر الاسم المحيي كما
قال تعالى وجعلنا من الماء كل شيء ولذلك يجد المتوضئ والمغتسل نشاطا
عاجلا عقبه ولكل صورة طريق الى روحها ولكل مظهر شارع متصل
الى حقيقته وايضا الالحان المطربة والانغام المعجبة مع انشاد كلام
القوم ما بين توحيد وتغزل واستغاثة واستمداد ورجاء وخوف لها
تأثير عظيم في تبديل القبض لا سيما اذا الفه الانسان ولذلك اكثر الصوفية
يتعلقون بالسماع ويقولون هو قوت الارواح وكان سيدي محمد البكري
رضي الله عنه يقول هاتوا لنا الآلات تنتج لنا الحالات ومما يفيد السالك في
سلوكه

سلوكه بل يلزم ويجب عليه حسن الظن بالله واعراضه عن مساوي
نفسه بترك الالتفات اليها وعرضه الآيات والاحاديث وكلام الاولياء
المقوية باب الرجاء على نفسه في غالب اوقاته فانه مفتاح المحبة وهو
اقرب باب للدخول في تجلي الافعال الذي هو اول المقامات السلوكية
وقد ورد في الحديث الصحيح انا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا وورد
خصلتان ليس فوقهما خصلة من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن
بعباد الله بل حسن الظن بالله روح المراقبة ومن جملة العبارات
والمراقبات المسرعة لتنوير القلوب ومشاهدة حضرة المحبوب ملاحظة
معنى المناظر الشمسية وهو ان يتوجه الى حضرته عليه السلام او شيخه
الكامل بصورهم الشخصية الكمالية ويجعلهم كالمنظرة الشمسية تقابل
شمس الاحدية وتفرغ منها النور فيمن قابلها ويجعل قلبه ونفسه هو
المقابل ويتخيل وصول الانوار وتوارد الاسرار منهم اليه فان الثوب لو
جعل سنين في اشد حر الشمس ما اشتعل نارا واذا وضع في مقابلة المنظرة
الشمسية يشتعل من حينه كذلك توسيط الكمل في تحصيل الفيض الالهي
له اثر عظيم ومن هنا استعمل كثير من الصوفية تصور الشيخ وسموه رابطة
ومما يقرب للعبارة السابقة ان يفرض السالك جسمه جسم شيخه
وروحه روح الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يتوجه بهما الى حضرة الاحسان
او يفرض جسمه هو ذات الرسول صلى الله عليه وسلم وروحه تجليا لطيفا
نورانيا للحق تعالى فان قيل هذه بدعة منكرة وتخيلات في الشرع
غير معتبرة قلنا ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال في بيعة

الرضوان اللهم هذه يدي وهذه يد عثمان وبايع له حتى قيل ان سيدنا
عثمان رضي الله عنه كان يكرم يده تلك وكذلك روي عن صحابي آخر خرج
مهاجراً الى المدينه فادركته المنية عند التنعيم فمد يده اليمنى وقال هذه
يد الله ويده اليسرى فقال هذه يد رسول الله ثم قبض هذه بهذه وقال
اللهم اني ابايعك بما بايع به نبيك وفي هذا القدر كفاية لما نحن بصدده
(فائـدة) عظيمه اتفقت كلمة ساداتنا الصوفية المحققين
الجامعين بين علمي الظاهر والحقيقة المتضلعين من بحري الشريعة
والطريقة ذوى الكشف الخارق الصريح مع الاستقامة الكاملة
والعمل الصحيح ان النفس الناطقة فى مقرها الذي لها قبل تعلقها بالجسم
شانها عظيم كما اشار تعالى اليه بقوله لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم ثم رددناه اسفل سافلين مرتسم في مدركها الكاملة هناك
صورة شامخة تحاكى جلال الله عز وجل كانها هو لو رأيتها ايها السالك
لرأيت امراً عظيما ثم لما تنزلت لتتعلق بهذا الجسم مرت على جميع الاكوان
فانطبعت فيها صورها واحكامها لحسن مرآتها وكمال قابليتها فصارت
تلك الصورة الشامخة الالهية مستورة بهذه الصور والاحكام والنفوس
فى اصلها مختلفة الاستعدادات فاهل قبضة السعادة انطباع تلك الصور
الساترة الحجابية فيها اخف لتمكن الصورة الشامخة الالهية منها بحسب
سبق السعادة لهم فبادنى معالجة تنزاح نفوسهم تلك الصور من لوح نفوسهم
وتتضح تلك الصورة الالهية منها كما اشير اليها في مواضع عديده من القرآن بقوله
تعالى لعلكم تذكرون واهل قبضة الشقاوة اعاذنا الله منها لم تتمكن الصورة
الالهية

الالهية منهم ذلك التمكن القوي فانطباع تلك الصور والاحكام ياخذ من
نفوسهم ماخذاً كاملا كانه ذاتي من ذاتياتها فمثلهم كظلمات في بحر لجي
يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض
الآية فانزل الله ليميز الفريقين ويقيم الحجة البالغة على الفئتين قانونا
كماليا ومنهاجا اعتداليا على السنة رسله مقتضاه من سلكه وعمل عليه
كما ينبغي تنمحي تلك الصور من لوح نفسه وتظهر الصورة الالهية التى
استترت فى مرآة النفس بتلك الحجب والصور وكون هذا القانون
علاجا مضاداً لهذه الصور والحجب والعلاج انما يكون مرا والنفس قد
انغمست فى تلك الحجب بحيث انها حجبتها عن ذاتها فضلا عن ما فيها من
تلك الصورة الالهية لذلك يصعب على النفوس استعمال هذا القانون
الاعلى سعيد لم تتمكن الحجب منه لقوة اخذ تلك الصورة الالهية من جوهر
نفسه فانه من اول نشأته او بعد قليل او بعد مدة مديدة على حسب
تفاوت المراتب يتعلق بالطاعات ولا يستثقلها كما هو مشاهد فى اهل
السعادة وهذا القانون الكمالي الاعتدالي بعضه من قبيل المصلحات
لارض قابلية النفوس وتخليتها عن الرذائل كالصوم وقيام الليل والصمت
والعزلة وترك الاخلاق الذميمة وبعضه من المقربات الى الملأ الاعلى
والمبدأ الاول ليتحقق بذلك تحليتها بالفضائل وصفاتها بالحق الاول
كالذكر والفكر والدعاء والصلاة والتوجهات القلبية والشريعة الغراء
المحمدية والمحجة البيضاء النقية على صاحبها اكمل الصلوات والتحية
حافلة لذلك بقسميه على اتم وجه واكمله فعليك ايها السالك الاستقامة

عليها وعضوا عليها بالنواجذ ثم ان هذا القسم الثاني وهو اشرف واعلا
واعظم فائدة للسالك عبارة عن التعلق بالله تعالى وهو الفاعل الحقيقي
ورسله وملائكته واوليائه وهم كالمعدات والوسائط لفعله تعالى وروح التعلق
بالله تعالى دوام الخشوع وكثرة التضرع والالحاح والتذلل والانطراح بين يدي
المولى الكريم الفتاح والعكوف على بابه بالدعاء الذي هو مخ العبادة والاستغاثة
به فانه الفعال لما يريد والآخذ بناصية كل سالك ومريد فاياك ان تغفل عن
هذا الروح فانه ملاك الخير والفتوح واما المعدات فهي الارواح العلوية
والنفوس الكاملة القدسية واعلاهم على الاطلاق روح نبينا صلى الله عليه
وسلم فهو الواسطة العظمى في هذا الوجود الحادث والوجود والاقدم وورد
في الحديث الصحيح الانبياء احياء في قبورهم يصلون ويحجون قال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وورد حياتي خير لكم ومماتي خير لكم وذكر اهل العلم والكشف
من شهودهم وكشفهم الصحيح انه صلى الله عليه وسلم لم يزل ولا يزال متوجها الى امته
مقبلا اليهم بوجه له همة عظيمة تقتضي شمول الرحمة اياهم وخلوص ملكيتهم
من بهيميتهم يمد من استمد منه في حوائجه ويرد هو على من يصلي عليه ويفرح
وينبسط الى من اطرى في مدحه والح عليه من ديدن نفسه وجبلته وفطرته
فطريته للرحمة والجود الاكمل بالنسبة اليهم مستقر على هذه الحالة دائما
لا يشغله شان الجبروتي المطوق عن ما ذكر ولا يزعجه شيء اذا رفع انسان
اليه همته في نائبة يعينه فيها ويفيض عليه من بركاته بمن اغاثة الملهوفين
واعانة المحتاجين له رقائق كثيرة لا يحسب تعدد كمالاته وتوجه الناس اليه
باستعداداتهم متصلة بكل من توجه اليه بجهد همته ولا يريد الانسان العالي
الهمة

الهمة بل كل ذي لب مشتاق يتوجه اليه بالقصد والاشواق وينشرح بكل
من مدحه وصلى عليه انشراحا عظيما ويتدلى وللواردين عليه في المدينة
المنورة حكايات عجيبة قديما وحديثا ليس هذا محلها كم من محب رآه بعيني
رأسه وكم من ولي مد اليه يمينه وصافحه بيده وكم من مسلم عليه سمع رد سلامه
وكم من طالب حاجة اعطيها من حينه لا تعد تلك العجائب من كثرتها ولا تحصى
فعليك ايها السالك بكثرة الصلاة عليه والتوسل به والتقرب والتحبب
اليه بما امكن زيادة عما لعامة الناس فان مطلبك عظيم وانت مطالب
بذلك اكثر وحاجتك اكبر فينبغي ان تكون ممتلئ القلب بمحبته صلى الله
عليه وسلم حتى تكون منزلته صلى الله عليه وآله وسلم عندك منزلة المشايخ من
قلوب الفقراء الا تراهم اذا ذكر شيخ احدهم يهتز ويضطرب لما خامر فؤاده
من تعظيمه فاجعل انت نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم في قلبك كذلك بحيث
تملك محبته حبة قلبك وتصير تماثيله بين عيني بصيرتك ويكفي في
ذلك حديث والله لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وماله وولده
والناس اجمعين فاياك ان تغفل عن هذا النور الاتم والرحمة والجود
الاعم صلى الله عليه وسلم وبعضهم كان من جملة اوراده هذه الاستغاثة

يا حبيب الاله خذ بيدي   ما لعجزي سواك مستندي

ولهم استغاثات به صلى الله عليه وسلم واستمدادات وردية منها هذه الابيات
لسيدي ابي المواهب الشاذلي رضي الله عنه:

يا اكرم الخلق على ربه   وخير من فيهم به يسأل
قد مسني الكرب وكم مرة   فرجت كربا بعضه يذهل

ولست ترى اعجز مني فما   لشدة اقوى ولا احمل
فيا الذي خصك بين الورى   برتبة عنها العلى تنزل
عجل باذهاب الذي اشتكي   فان توقفت فمن اسأل
فحيلتي ضاقت وصبري انقضى   ولست ادري ما الذي افعل
وانت باب الله اي امرئ   اتاه من غيرك لا يدخل
صلى عليك الله ما صافحت   زهر الروابي نسمة شمأل

وقس على ذلك سائر الانبياء حتى ذكر رجال الاولياء في خصوصه ان سيدنا ابراهيم الخليل مع ميكائيل عليهما السلام في خدمة الارزاق وظهر لبعض الصوفية ان هذا هو السر في نصب مقام ابراهيم عند الكعبة والامر باتخاذه مصلى ليقوم بوظيفة وفود الحق في الارزاق المعنوية والله اعلم واما الاولياء فلهم اسوة بالملائكة المدبرين للأمر ورد في الحديث من دعائه صلى الله عليه وسلم لحسان رضي الله عنه اللهم ايده بروح القدس وايضا في الحديث ان روح القدس نفث في روعي كذا وكذا وقال تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً اي تشهده الملائكة والمراد بالقرآن ههنا الصلوة ولولا انهم يفيضون الانوار والبركات على المتعبدين لما كان لذكرهم فائدة والتعلق بهم انما هو باستعمال الاشياء التي تقربهم وتحببهم في السالك مثل مداومة الطهارة والوضوء وتطهير الفم من كل كريه الرائحة لاسيما هذه الشجرة الخبيثة التي عمت وطمت واستعمال الطيب وكثرة الصلوة والذكر مفيد جداً للسالك في ذلك فانهم هم حملة الاعمال وكتبتها ونقلتها الى الحق جل وعلا وهم السفرة الكرام البررة بيننا وبين الله تعالى ومصالحة السفير والتحبب اليه عين مصالحة الاصيل الكبير والتقرب

والتقرب اليه قال بعض اهل الكشف   نوع من الملأ الاعلى ومن التحق بهم من كمل الاولياء خدمتهم قدح الانوار في قلوب السعداء الابرار لاسيما اذا توجهوا اليهم ما احراهم باغاثتهم وفي الحديث اذا انفلتت دابة احدكم فليقل يا عباد الله احبسوه ولا شك ان النفس المطمئنة ضالة السالك منفلتة عليه خارجة عن طوع يديه ما احراه بالاستغاثة والنداء للاولياء والاحياء منهم والاموات في ذلك سواء فكل من مات من الكمل يخيل الى العامة انه فقد من العالم لا والله ما فقد بل تجوهر وقوي فشره ولذ بالاولياء فانهم لهم من كتاب الله تلك الوقائع هم الذخر للملهوف والكنز والرجاء ومنهم ينال الصب ما هو طامع . بهم يهتدي للعين من ضل في العمى ، بهم تجذب العشاق والربع شاسع . هم الناس فالزم ان عرفت طريقهم ، ففيهم لضير العالمين منافع : وكان شيخنا قطب دائرة التقديس سيدي احمد بن ادريس رضي الله عنه يقول في مجلس مذاكرته على الدوام وهو حافل بالخاص والعام باعلا صوته : مريدي لو نادني من جبل قاف اسمع نداءه ويرفع حبة من سبحة عن اخواتها ثم يرسلها تقع على اخواتها بصوت طوه ثم يقول في هذا القدر من الزمان وله رضي الله عنه الصلاة الجبرائيلية تقرأ في وظيفة الاساس وفي صلاة الجنازة وصيغتها اللهم صل وسلم وبارك على مولانا محمد وعلى آله وعلى جميع الانبياء والمرسلين وعلى جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وحملة العرش وعلى الملائكة اجمعين وعلى الاولياء والصالحين وعلى جميع عبادك المؤمنين في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علمك امين واظنه رضي الله عنه لاحظ المعنى المتقدم ذكره وصاغه في قالب المزاج الاكمل المحمدي فانه هدية الفقير الصعلوك الى

السلاطين والملوك لحاجته واستعطافهم عليه فكان السالك كل ليلة يتوجه الى
العقل الأول وخليفة ربه الاجل الاجل الاكمل وجميع من تحته من اصحاب المناصب
العلى في الملأ السافل والملأ الاعلى المدبرين لامر التكوين من الملائكة والاولياء
المقربين يصلي ويسلم ويبارك عليهم ويقول لكل واحد بلسان حاله الذي
هو افصح من مقاله: وفي القلب حاجات وفيك فطانة، سكوتي بيان عندها
وخطاب. وهكذا الطالب المجد الصادق والمحب الصحيح العاشق لا يرى بابا من
الابواب ووسيلة من الوسائل الا ويقتحم فيه رجاء الوصول الى محبوبه الكامل
ومن جملة المراقبات والبصارات المقربة لقلوب السالكين الى التجليات ملاحظة
معنى التوحيد الوجودي وليعلم ان مسألة وحدة الوجود ثابتة من ثلاثة
اوجه الكشف والنقل والعقل لا زال في كل عصر وقرن يقول بها العلماء
الاعلام والجهابذة الكرام الحوار العلم والدراية اعمدة الشريعة والنقل والرواية
كان يطبق عليها الاولياء ويجمع عليها شرقا وغربا جمهور الاصفياء، ولا يضر في
ذلك خلاف من خالف فان المثبت حجة على النافي ومن حفظ حجة على
من لم يحفظ فلا ينبغي لعاقل ردها لعدم علمه وتضعيفها لقصور فهمه
وقد ينكر الفاضل على المفضول وهو مصيب لحكمة الآلهية خفية كما وقع
لموسى عليه السلام مع الخضر في قصتهما المحكية وصورة ملاحظة معنى
التوحيد ان يتخيل سريان الوجود الحق في الموجودات كلها لطيفها وكثيفها عاليها
وسافلها كما يليق بجلاله قال تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو
بكل شيء عليم وقال تعالى اينما تولوا فثم وجه الله وان شئت قلت في توضيحه
تعين الموجودات وتشكلها في تجلي الحق الوجودي المنبسط من ذاته تعالى ثم
بطونها

بطونها وظهورها منه فيه بحسب ارادته وان ترد اوضح الامثال اجمعها فانظر الى صفحة
المرآة مستقاة من الزجاج او الفولاذ ليس بها شيء وفيها يلوح الشيء متسقا كما
تلوح لك الاكوان تظهر في مرآة عين الوجود المنتهي البقا وليس فيه سواه دائما
ابدا والكل فان به فيه قد انسحقا وهو القريب ولكن لست تدركه لانه بك
مستور وانت وقاية الوجود الحقيقي لا تزال به ترى الظهور هنا الاكوان والفرقا
وهو قسمان قسم يتوجه فيه السالك الى الآفاق وهو المتقدم تفسيره وقسم منه
يتوجه فيه السالك الى نفسه لان النفس الانسانية وحدها حوت العالم وزيادة
كما قالوا ان الناموسة مع صغرها حوت اعضاء الفيل مع كبره وزادت عليه بالاجنحة
قال تعالى سنريهم اياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اياتنا اي
انوارنا وتجلياتنا انه اي المرئي الحق لا غيره وصورة مراقبة معنى التوحيد الوجودي
النفسي ان يتوجه الى نفسه المدبرة لجسمه الحالة في كل عضو من نفسه في مثله
من جسده بانها وجود لطيف مقيد بحدود لطيفة كانه حصة من حضرة القيومية
الآلهية مقيدة قال تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت للشيخ احمد القشاشي
المدني رضي الله عنه ادم تراني فحقق انني رأيتك واعلم بانك لا شيء غير وجودي
فيك يا من تسمى باسم النور في التجليات حقق وجودك لكي تدري المحرك فيك قال
العارف الجليل عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه في الآفاق والخلق عيان الحق في كل
ما ترى فتلك تجليات من هو صانع، فقد خلق الارض بالحق والسما كذلك جاء في
القرآن انت سامع، وما الخلق الا الله لا شيء غيره فثم شذاه فهو في الخلق ضائع،
وقال في التوحيد النفسي متصلا وشاهده حقا فيك منك فانه هويتك اللاتي
بها انت يانع، وفي اينما حقا تولوا وجوهكم فثم وجه الله هل من يطالع، فمنك

نفسا بالله ولكن ان تكون كما انه لم تكن وهو صارع ، هذا وللقوم انواع
كثيرة في الفكر والمراقبة يأخذ منها السالك ما شاء لا سيما اذا وفر استعداده
واحسن باستعماله لمراده وفيما ذكرناه ان شاء الله كفاية لطالب الحق . فصل
ما ذكر هو الصورة المعنوية للمراقبة وهو روحها وحقيقتها واما صورتها الظاهرة
فقد جرى عمل الصوفية الكرام واستحسانهم ان تكون باطراق الراس وغض الطرف
محتبيا او جالسا كهيئة الصلوة وذلك لكونه اجمع للقلب والحواس عن خواطر
النفس والوسواس قال الامام حجة الاسلام في اداب الصحبة مع الخالق سبحانه صاحبك
الذي لا يفارقك قط هو ربك ومولاك مهما ذكرته فهو جليسك اذ قال تعالى
انا جليس من ذكرني ومهما انكسر قلبك حزنا على تقصيرك في دينك فهو صاحبك
وملازمك قال الله تعالى انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي فلو عرفته حق معرفته
لاتخذته صاحبا وتركت الناس جانبا فان لم تقدر على ذلك في جميع اوقاتك فاياك
ان تخلي ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه لمولاك وتتلذذ معه بمناجاتك وعند ذلك
فعليك ان تتعلم اداب الصحبة مع الله تعالى واداب اطراق الراس وغض الطرف
وجمع الهمة ودوام الذكر وملازمة الفكر اه وكان شيخنا رضي الله عنه يامر اصحابه
ان يجلسوا للصحبة مع الله تعالى والمراقبة من بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس
ومن بعد المغرب الى العشاء قيل ان سيدنا عليا رضي الله عنه تزوج بعد وفاة سيدنا
الصديق الاكبر رضي الله عنه بامرأته فلما خلى بها قال اعلمي ان النساء غيرك كثيرة
انما اخذتك لتدليني ما كان يصنع ابو بكر في بيته حتى فضلنا قالت كان يصنع مثل
ما يصنعون غير اني كنت اراه اذا قام من الليل وصلى ما كتب الله له يفعل شيئا لم
اركم تفعلونه كان يجلس محتبيا ويجعل راسه بين ركبتيه وكل قليل يرفع راسه
ويقول

ويقول واشوقاه الى محمد قال رضي الله عنه بهذا بهذا يعني بسبب مزيته وفضله
علينا المراقبة والتفكر والتشوق اليه صلى الله عليه وسلم والفناء في حبه فصل
من اعلى البشارات والحيل المفيدة للمترقيات لا سيما للقاصرين هممهم عن الرياضات
والمراقبات مطالعة كتب الصوفية الكرام نظما ونثرا مما يتعلق بالحضرة الالهية
من تفاصيل الحضرات وتواريخ الظهور والتجليات نزولا وعروجا والنظر في
دواوين السالكين العشاق والواصلين الحذاق وتفهم معاني قصائدهم الغزلية
والخمرية والتوحيدية والذوقية ممن هو فوقك او قبلك في هذا المعنى فقد قال
العارف الجليل سيدي عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه اني قد رأيت صبيانا من اهل
الطريق من اخواني بلغوا بمطالعة هذه الكتب في الايام القليلة ما لم يبلغه رجال
باجتهاد اربعين او خمسين سنة حتى انشد منشدهم فقال :

وقد بنيت اساسي على ثقة ولا محالة اني جد كلاب

قال وهذا البيت لرجل لا نعلم له شيئا من اعمال الطريق سوى مطالعة كتب
الحقائق حتى بلغ من هذا العلم ما سبق به كثيرا من السابقين ومن وقف على ديوان
شعره عرف مقداره اه وان تيسر فهمها ممن توغل فيها وعلمها فهو نور على نور لان قوة
الالقاء والتفهيم مخصوصة باهل العلم والتعليم وادنى الامر ان المعلم لا يتكلم الا بما
يناسب المتعلم ويعرف شبهه بالدلالات والاشارات ويزيلها بانواع الطرق والافهامات
واعلم ان يكون قد تشرف بالجذبة الالهية التي توازي عمل الثقلين اعني قد تحقق
بالاسفار الاربعة وهي الاسفار التي حوت السلوك اجمعه وهي السير من النفس الى
الحق ثم السير في الحق ثم السير من الحق الى النفس ثم السير في النفس كما هو مبسوط
في محله مبين عند اهله فذلك شوق الهي وخضر رباني ساقته العناية الالهية

يمده عليك بالنواجذ واعلى منا صاحب اللمحة القدسية والاذن في
التصرفات الحقيقية والدعوة الى الله على بصيرة الالهية فانه بارادته يصيغ
وبهمته يعطي وهو الذي طوينا ذكره في هذه الرسالة العجالة فمن وجده
لا يحتاج الى قيل وقال وعليه ملازمته مع الامتثال لاقوال القوم وصولك
الى الله هو وصولك الى ولي من اوليائه قال العارف الجليل الشيخ عبد الكريم الجيلي
رضي الله عنه فانه ساعد المقدور او ساقك القضا الى شيخ جود في الحقيقة
بارع، فقم في رضاه واتبع لمراده ودع كلما من قبل كنت
تصانع، ولكن هذا اخر ما اوردناه والحمد لله اولاً
وآخراً وظاهراً وباطناً دائماً سرمداً
والصلاة والسلام على مولانا محمد واله
واتباعه ومحبيه في كل لمحة
ونفس عدد ما وسعه
علم الله

تمت

